

العيد فرحة كيف نحافظ عليها ؟

في يوم العيد فرحة أمرنا الله أن نظهرها مهما كانت آلامنا وما نعانيه فهذه الساعات القليلة تأتي في السنة مرتين تفتح آفاقا واسعة من تغيير الحالة المزاجية للمسلم وتهياه للحظات فرح تملح أحزانه و تخفف منها.

إن لحظات الفرع في حياتنا قليلة ولعلنا إذا عرفنا بعض مفاتيح الفرع يمكننا أن نزيد هذه اللحظات وأن نطيل من وقتها وفي عبادة الحج مفاتيح عدة يمكن للموفق أن تكون بين يديه يستخدمها في زمن الحج وفيما بعده.

أول هذه المفاتيح هو التطهر فالحجاج يقطعون كل هذه المسافات وينفقون كل هذه الأموال ويبدلون كل هذه الجهود رغبة في أن يعودوا كيوم ولدتهم أمهاتهم متطهرين من خطاياهم مهما كانت عظيمة وجسيمة، فالشعور بالطهارة طهارة الظاهر وطهارة الباطن وطهارة صحيفة الأعمال أحد أهم مسببات السعادة.

إن استصحاب هذا المعنى طوال العام يفتح لنا آفاق عظيمة لراحة البال وطمأنينة خاطر وهما من آثار التطهر وأحد تجليات السعادة يمكننا أن نستحضر نية التطهر عندما ننوي الصلاة فهذا أحد مقاصدها العظيمة.

قال ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَبَابٍ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا» [صحيح مسلم] غياب نية التطهر قبل الصلاة وأثناءها يفقدنا معنى عظيما وعميقا ويحرمانا من خير كثير فتصور أن مصل خرج من صلاته وقد شعر أنه تخفف من الأوزار التي ارتكبها قبل الصلاة كيف ستكون حالته الروحية والعقلية والجسدية لاشك أنه سيشعر بسعادة بالغة وسيخلص من عبء يثقل كاهله ومع تراكم العبء تضعف الروح وتصاب بأدواء خطيرة وهكذا كل عبادة تمحو ما وقع قبلها قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» [صحيح مسلم].



هذه المنحة الإلهية الجليلة التي يعطيها الله تعالى لعباده الصالحين لا تزال تطهر المسلم من أدرانها حتى تأتي عبادة الحج فتمحو ما بقي لتعود صحيفته إلى النقاء كما كانت من مفاتيح السعادة التي يتعلمها المسلم من الحج مفهوم مواصلة الطاعة والاسراع في القيام بها فمعنى لبيك اللهم لبيك انا مقيم على طاعتك يارب إقامة بعد إقامة هذا التواصل بين الطاعات أحد مسببات السعادة فإن للحسنة أثرها في انشراح الصدر وتوالي الحسنات يزيد من انشراح الصدر وسرور النفس وقد شبهت الطاعات وتأثيرها على تنوير القلب بمن يوقد شمعة في غرفة مظلمة فتضيء بمقدار ما فإذا اضفت إلى الشمعة أخرى ازداد الضوء ولا تزال تقدم طاعة ويزداد الضوء حتى تمتلأ الغرفة بالنور ويخرج منها لينير خارجها والنور وانشراح الصدر أحد تجليات السعادة وأحد آثار توالي الطاعات والمصارعة في الخيرات كذلك سبب لاستجابة الدعوات التي يظن الناس أنها مستحيلة فقد أصلح الله تعالى زوجة زكريا وأعطاه الولد رغم كبر سنه ووهن عظمه واشتعال رأسه شيئا ، وبين الحق سبحانه وتعالى أسباب ذلك فكان منها إنهم كانوا يسارعون في الخيرات فالمصارعة في الخيرات سبب للمنع العظيمة وإدخال السرور على القلب.

تقاسم السعادة

من معاني فرحة العيد أن السعادة إذا تقاسمها الناس كبرت وزادت وإذا حصرها الناس في إطار ضيق أنها تتبدد وتتلاشى ولأجل ذلك كان توجيه النبي ﷺ للنساء لكي تعير إحداهن ثوبا لا تحتاج إليه لمن لا تجد قالت امرأة: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِخْدَانًا لَا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ، قَالَ: «لِنُلْبِسَهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا» [صحيح مسلم] وعند الحميدي في مسند "يشهدن الخير ودعوة المسلمين". وأمر النبي ﷺ أصحابه ألا يبقوا عندهم شيء من لحم الأضحية لما قدم عليهم مجموعة من الأعراب الجياع لكي تعم النعمة على الخلق فلما زال هذا السبب أمرهم رسول الله ﷺ أن يأكلوا ويتصدقوا ويدخروا [مسند أحمد] {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج: 28] لعل شيئا من بؤسه يزول ولعل شيئا من بؤسكم يزول أيضا.

التضحية



ومن أجل المحافظة على فرحة العيد يجب أن نتذكر دائما أن الإنسان لا يصل إلى المجد ولا يستقر فوق عرشه إلا بتقديم التضحيات وكلما كانت التضحيات كبيرة كلما ارتفع المضحى في سماء المجد ضحى إبراهيم عليه السلام بنفسه حين ألقى في النار وضحى بولده حين أمره الله بذبحه لا يمكن للإنسان أن ينال منزلة في دين أو دنيا إلا باقتطاع جزء من وقته وجهده وعمره وأعصابه حتى يصل إلى ما يريد أما من يريد أن تأتيه أمانيه دون جد واجتهاد فهو واهم ولو جاءت له لن تبقى عنده وإذا كان الناس يقدمون التضحيات الكبيرة لكي يصلوا إلى طموحهم في الدنيا حتى نسو حقوق أنفسهم وأهلبيهم وأولادهم فهذا يدفع المسلم لأن يشتري رضوان الله بالغالبي والنفيس وإذا نال الرضوان الأعلى هان عليه ما بذله.

هذا البيت - المسجد الحرام - مبعث حسن الرجاء فيما عند الله تعالى فمن قَدِّمه راجيا لرحمة ربه خائفا من ذنبه مصلحا ما بينه وبين الله والناس عفا الله عنه وتجاوز عن سيئاته هذا البيت نتعلم منه أن الزبد يذهب جفاء كان النبي ﷺ يطوف بهذا البيت وحوله ثلاثمئة وستون صنما ثم في عام الفتح أخذ عودا بيده يضرب به هذه الأصنام وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل كان النبي ﷺ موقنا بهذا اليوم الذي ستزول فيه هذه الأصنام ليعود البيت قبلة للتوحيد بعد أن كان معرضا للأصنام يحكي عثمان بن طلحة أن مفتاح الكعبة كان بيده وأنه منع النبي ﷺ من دخول الكعبة فقال له يومها وهو ﷺ الذي لا يستطيع أن يدخل الكعبة: ” لعلك أن ترى هذا المفتاح يوما بين يدي ” صبر النبي ﷺ وصابر وثابر حتى قال له ربه: { إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3) } (سورة النصر).

إن جذوة الأمل إذا خبت من النفوس وحل مكانها رماد اليأس فلا تسل عن معنى للحياة ولا عن قيمة لنعمة فالحلو ساعتها يستوي مع المر والصحة مع المرض وكفى بذلك موتا قبل الموت إن جذوة الأمل هي أنس الضعيف والمحتاج في يوم ينقضي فيه الضعف وتزول فيه الحاجة وما ذلك على الله بعزيز.

ووسط فرحة العيد نتذكر أن أمنا هاجر أعطتنا مفتاحا آخر من مفاتيح السعادة لكي يكون مع الأمل عمل ولكي يسعى الناس لتحقيق آمالهم فقد نفذ ما معها من ماء وغذاء أو قل نفذ ما معها من أسباب الحياة وهي تعلم أنها في مكان لا زرع فيه ولا ماء فذهبت لعلها ترى نبع ماء أو من يحمل الماء سعت سبع مرات ما بين الصفا والمروة حتى إذا ما بذلت وسعها ونفدت طاقتها أمدّها الله بمدد من عنده وفجر الأرض ينبوعا يشرب منه الناس ليوم الدين وهي طعام طعم وشفاء سقم إن هذا السعي يعد نبراسا لكل من أراد حياة قلبه وبدنه ولا بد من الوعي قبل السعي لا بد من الحركة المحسوبة في مضمار الحياة الحركة الآخذة بالأسباب المتوكلّة على رب الأرباب.



في خضم فرحة العيد يجب أن نعلم أن السعادة كنز مفقود ويبحث الناس عنه في القديم والحديث فلم يهتدوا إليه وقد جعل الله لها أسبابا حاولنا تلمس بعضها من خلال التأمل في **مناسك الحج** فكانت التطهير لتسمو الروح في مدارج الكمال وكان ما يتضمنه معاني التلبية من إسراع إلى طاعة الله وتواصل للعمل الصالح ثم تقديم التضحية لنيل الدرجات العلا في الدنيا والآخرة التي تستجلب ثم حسن الرجاء في الله تعالى الذي يقارنه السعي الحثيث للغاية التي ترضي الله وتنفع الناس سمي العيد عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد أو لأن عوائد الله تعالى فيه تتجدد فيعود سبحانه وتعالى على عباده بالمغفرة والرحمة وتعود إلينا معه مفاتيح السعادة نتأملها ونستخدمها.